لم ينقص ذلك من ملكي شيئا فدل على ان ملكه كامل على اي وجه كان لا يزداد ولا يكمل بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي ولا يؤثر فيه شيء وفي هذا الكلام دليل على ان الاصل في التقوى والفجور هي القلوب فاذا بر القلب واتقى برت الجوارح واذا فجر القلب فجرت الجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره فقوله لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر والمراد بهذا ذكر قدرته سبحانه وكمال ملكه وان ملكه وخزائنه لا تنفد ولا تنقص بالعطاء ولو اعطى الاولين والاخرين من الجن والانس جميع ما سألوه في مقام واحد وفي ذلك حث للخلق على سؤاله وانزال حوائجهم به وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فلا يقول اللهم ان شئت ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه اذا دعوتم الله فارفعوا في المسألة فان ما عنده لا ينفده شيء واذا دعوتم فاعزموا فان الله لا مستكره له وفي بعض الاسرائيلية يقول الله عز وجل ايؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويرجى غيري ويطرق بابه بالبكرات وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي املني لنائبة فقطعت به او من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاءه او من ذا الذي طرق بابي فلم افتحه له انا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني ابخيل انا فيبخلني عبدي الدنيا والاخرة والكرم والفضل كله لي فما يمنع المؤملين ان يؤملوني لو جمعت اهل السموات والارض ثم اعطيت كل واحد منهم ما اعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم امله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة كيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤس لمن عصاني وتوثب على محارمي. وقوله لم ينقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر تحقيق لان ما عنده لا ينقص البتة كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فان البحر اذا غمست فيه ابرة ثم اخرجت لم ينقص من البحر بذلك شيئا وكذلك لو فرض انه يشرب منه عصفور مثلا فانه لا ينقص البحر البتة ولهذا ضرب الخضر لموسى عليه السلام هذا المثل في نسبة علمهما الى علم الله عز وجل وهذا لان البحر لا يزال تمده مياه الدنيا وانهارها الجارية فمهما اخذ منه لم ينقصه شيء لانه يمده ما هو وكذلك طعام اهل الجنة وما فيها فانه لا ينفد كما قال تعالى وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقد جاء انه كلما نزعت منه ثمرة عاد مكانها مثلها وروي مثلاها فهي لا تنقص ابدا ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الكسوف واريت الجنة وتناولت منها عنقودا ولو اخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا اخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس وخرجه الامام احمد من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه ولو اتيتكم به لاكل منه من بين السماء والارض لا ينقصونه شيئا وهكذا لحم الطير الذي ياكله اهل الجنة يستخلف ويعود كما كان حيا لا ينقص منه شيء وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه فيها ضعف وقاله كعب وروي ايضا عن ابي امامة الباهلي من قوله قال ابو امامة وكذلك الشراب يشرب منه حتى تنتهي نفسه ثم يعود مكانه وروي بعض العلماء الصالحين بعد موته في المنام فقال ما اكلت منذ فارقتكم الا بعض فرخ اما علمت ان طعام الجنة لا ينفد وقد سبق الحديث الذي خرجه الترمذي وابن ماجه السبب الذي لاجله ما ينقص ما عند الله بالعطاء بقوله ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي كلام انما امري لشيء اذا اردت ان اقول له كن فيكون وفي مسند البزار باسناد فيه نظر من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خزائن الله الكلام فاذا اراد شيئا قال له كن فكان فهو سبحانه اذا اراد شيئا من عطاء او عذاب او غير ذلك قال له كن فكان فكيف يتصور ان ينقص هذا وكذلك اذا اراد ان يخلقه قال له كن فيكون كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وفي بعض الآثار الاسرائيلية اوحى الله الى موسى عليه السلام لا تخافن غيري ما دام لي السلطان وسلطاني دائم لا ينقطع يا موسى لا تهتمن برزقي ابدا ما دامت خزائني مملوءة وخزائني مملوءة ابدا لا تتق يا موسى لا تأنس بغيري ما وجدتني انيسا لك ومتى طلبتني وجدتني يا موسى لا تأمن مكري ما لم تجز الصراط الى الجنة وقال بعضهم لا تخضع لمخلوق في طمع فان ذلك نقص بك في الدين

واسترزق الله

واسترزق الله ما في خزائنه فانما هي بين الكاف والنون. **وقوله** يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها يعني انه سبحانه يحصي اعمال عباده ثم يوفيهم اياها بالجزاء عليها وهذا كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقوله يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه وقوله ثم اوفيكم اياها الظاهر ان المراد توفيتها يوم القيامة كما قال وانما توفون اجوركم يوم القيامة ويحتمل ان المراد انه يوفي عباده جزاء اعمالهم في الدنيا والاخرة كما في قوله ومن يعمل سوءا يجز به وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر ذلك بان المؤمنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا وتدخر لهم حسناتهم في الاخرة فيوفون اجورها واما الكافر فانه يعجل له خيرا في الدنيا ثواب حسناته وتدخر له سيئاته فيعاقب بها في الاخرة وتوفية الاعمال هي توفية جزائها من خير وشر فالشر يجازى به مثله من غير زيادة الا ان يعفو الله عنه والخير تضاعف الحسنة منه بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة لا يعلم قدرها الا الله كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه اشارة الى ان الخير كله فضل من الله على عبده من غير استحقاق له والشر كله من عند ابن ادم من اتباع هوى نفسه كما قال عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وقال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه فالله سبحانه وتعالى اذا اراد توفيق عبد وهدايته اعانه ووفقه لطاعته فكان ذلك فضلا منه واذا اراد خذلان عبد وكله الى نفسه وخلا بينه وبينها فاغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان امره فرطا وكان ذلك عدلا منه فان الحجة قائمة على العبد بانزال الكتب وارسال الرسول صلى الله عليه وسلم فما بقي لاحد من الناس حجة على الله بعد الرسل. **وقوله** بعد هذا فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ان كان المراد من وجد ذلك في الدنيا فانه يكون حينئذ مامورا بالحمد لله على ما وجده من جزاء الاعمال الصالحة الذي يعجل له في الدنيا كما قال تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ويكون مامورا بلوم نفسه على ما فعلت من الذنوب التي وجد عاقبتها في الدنيا كما قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون فالمؤمن اذا اصابه رجع الى نفسه باللوم ودعاه ذلك الى الرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار وفي المسند وسنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا اصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل وان المنافق اذا مرض ثم اعفي كان كالبعير عقله اهله ثم اطلقوه لا يدري لم عقلوه ولا لم اطلقوه وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ان المسلم ليبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتبا فيما بقي وان الكافر يبتلى فمثله كمثل البعير اطلق فلم يدر لما اطلق وعقل فلم يدر لما عقل فان كان المراد من وجد خيرا او غيره في الاخرة كان اخبارا منه بان الذين يجدون الخير في الاخرة يحمدون الله على ذلك وان من وجد غير ذلك يلوم نفسه حين لا ينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والمعنى ان الكاذب عليه يتبوأ مقعده من النار وقد اخبر الله تعالى عن اهل الجنة انهم يحمدون الله على ما رزقهم من فضله فقال ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقال وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب واخبر عن اهل النار انهم يلومون انفسهم ويمقتونها اشد المقت فقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقال تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون وكان بعض السلف يجتهد في الاعمال الصالحة حذرا من لوم النفس عند انقطاع الاعمال على التقصير وفي الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا ما من ميت يموت الا ندم ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون استعتب وقيل لمسروق لو قصرت عن بعض ما تصنع من الاجتهاد فقال والله لو اتاني آت فاخبرني ان الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة قيل كيف ذاك قال حتى تعذرني نفسي ان دخلت النار ان لا الومها اما بلغك قول الله عز وجل ولا اقسم بالنفس اللوامة انما لاموا انفسهم حين صاروا الى جهنم فاعتنقتهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الاماني ورفعت عنهم الرحمة واقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه وكان عامر

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)